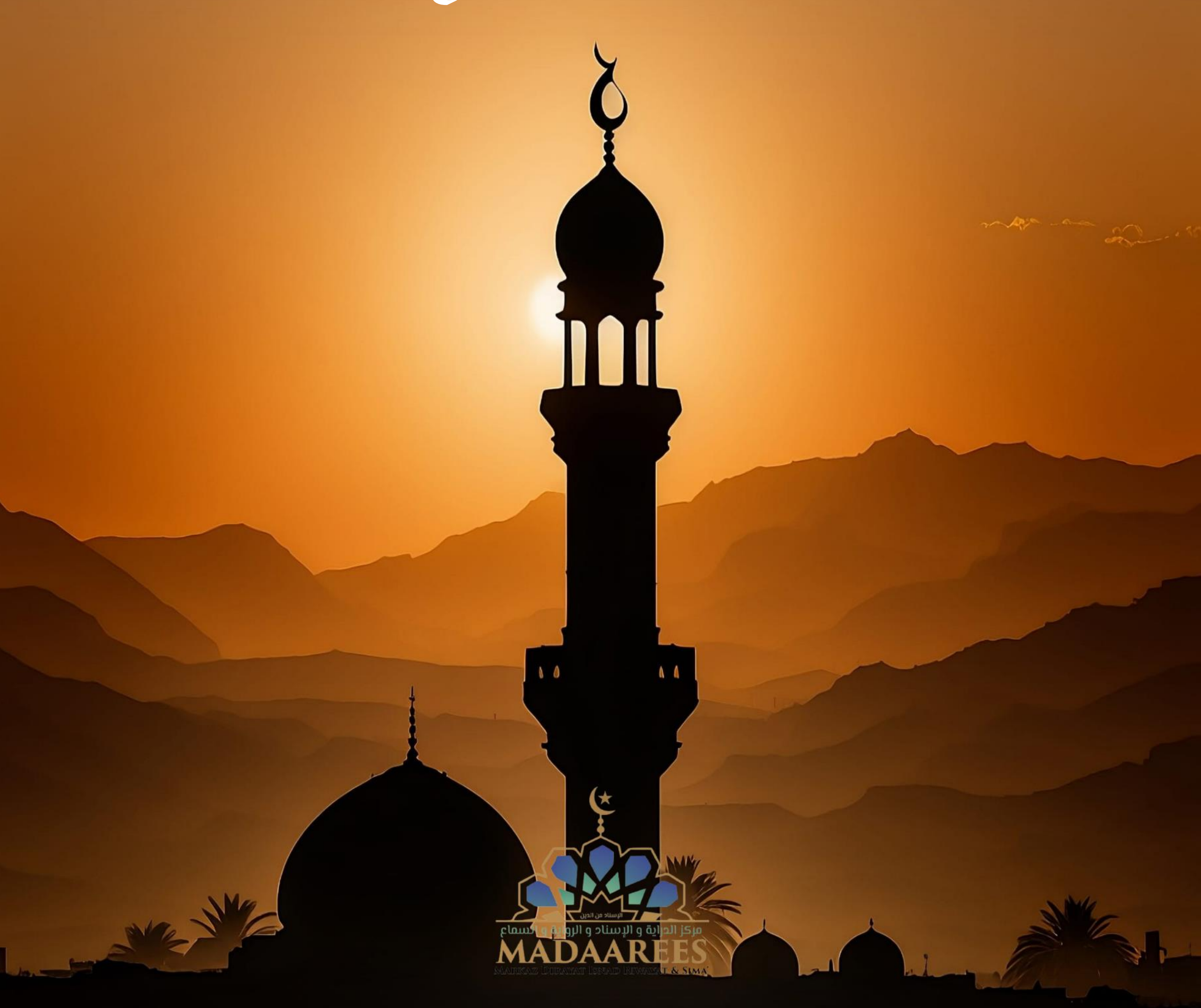
تيسير الوصول في تفسير آمن الرسول

الآية (٢٨٥-٢٨٦) من سورة البقرة

د.غمدان أحمد رزق الشيخ



تيسير الوصول في تفسير آمن الرسول
الآية (٠٢٨٥-٢٨٦) من سورة البقرة

د.غمدان أحمد رزق الشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ لله الذي استنارت صدورُ الصُّحف باسمه، وأشرقَتْ سطورُ الكتُب بوَصْفه فيها ورَسْمه. وكانت البدأةُ بحمده كافلةً بالتمام، ضامنةً بلوغ الغاية فيما يُراد من الأمور ويُرام.

أحمدُه مستعيناً به على تيسير ما أحاوله، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي عمَّ الأنام نائله، وأشهدُ أن محمَّداً صلَّى الله عليه وسلَّم عبدُه الذي بعثه رحمة لعباده، ورسولُه الذي اتضحت السُّبل بهدايته وإرشاده، أيَّده بكتابه المبين الذي ظهرت معجزاته، وبهرت آياته، وقهرت ذوي العناد بيِّناته، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين نُصرت بهم ألوية الحق وراياته.

هذا وإنّ أجلّ ما بأيدي هذه الأمة كتابُ ربِّها، الناطق بمصالح دينها ودنياها، الواصف لها مرشد أُولاها وعقباها، وإن أشرفَ العلوم ما كان منه بسبيل، وأجلّ الرسوم فنونه التي هي أعلى الدرجات في التقديم والتفضيل.

أما بعد: حين أتممت صلاة العشاء في يوم الثلاثاء ٢٧ ذي القعدة من العام ١٤٤٥هـ، بدر في ذهني ما للآيات من فضل في آخر سورة البقرة؛ فقررت حينه الكتابة بصورة مبسطة مختصرة، ويسر الله وأعان، فبه ومنه وعليه التكلان.

قال الله تعالى:

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [١]

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ شهادة وتنصيص من الله تعالى على صحة إيمانه والاعتداد به، وإنه جازم في أمره غير شاك فيه.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ لا يخلو من أن يعطف الْمُؤْمِنُونَ على الرَّسُولُ، فيكون الضمير الذي ينوب عنه التنوين راجعاً إلى الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنِينَ، أو يجعل مبتدأ فيكون الضمير للمؤمنين. وباعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدأ، ويكون إفراد الرسول بالحكم إما لتعظيمه أو لأن إيمانه عن مشاهدة وعيان، وإيمانهم عن نظر واستدلال. وقرأ حمزة والكسائي: «وكتابه» يعني القرآن، أو الجنس. والفرق بينه وبين الجمع أنه شائع في وحدان الجنس والجمع في جموعه، ولذلك قيل: الكتاب أكثر من الكتب.

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ أي: يقولون لا تفرق. وقرأ يعقوب لا يفرق بالياء على أن الفعل لـ كُلٌّ. وقرئ «لا يفرقون» حملاً على معناه كقوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ داخِرِينَ﴾ واحد في معنى الجمع لوقوعه في سياق النفي كقوله تعالى: ﴿فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِينَ﴾[٢].

---

[١] سورة البقرة ٢٨٥-٢٨٦.

[٢] أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/١٦٦.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾

﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها﴾ إلا ما تسعه قدرتها فضلاً ورحمةً، أو ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ وهو يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدل على امتناعه.

﴿لَها مَا كَسَبَتْ﴾ من خير. ﴿وَعَلَيْها مَا اكْتَسَبَتْ﴾ من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها غيرها، وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر؛ لأن الاكتساب فيه احتمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب إليه فكانت أجَدّ في تحصيله وأعمل بخلاف الخير. ﴿رَبَّنا لاَ تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِينا أَوْ أَخْطَأْنا﴾ أي: لا تؤاخذنا بما أدى بنا إلى نسيان أو خطأ من تفريط وقلة مبالاة، أو بأنفسهما إذ لا تمتنع المؤاخذة بهما عقلاً، فإن الذنوب كالسموم فكما أن تناولها يؤدي إلى الهلاك وإن كان خطأ [1].

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقالُوا سَمِعْنا وَأَطَعْنا غُفْرانَكَ رَبَّنا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾.

المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)
المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي
الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت
الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ

[1] أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/١٦٦.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ عطف على ﴿الرَّسُولُ﴾ ويكون الضمير الذي التنوين نائب عنه في كُل راجع الى: الرسول، والمؤمنين. ويصح أن يكون مبتدأ، ويكون الضمير للمؤمنين"[1].



[1] الموسوعة القرآنية ٩/٣٠٢.

المؤلف: إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (المتوفى: ١٤١٤هـ)

الناشر: مؤسسة سجل العرب.

بعض ما ورد في الحديث

روى البخاري ومُسلم في «صحيحيهما» من حديث أبي مسعود البدري عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: «الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه». قال أبو بكر النقاش: معناه: كفتاه عن قيام الليل. وقيل: إنهما نزلتا على سبب[1].



[1] أخرجه البخاري ٥٠٠٨ و ٥٠٠٩ و ٥٠٤٠ و ٥٠٥١ ومسلم ٨٠٧ والطيالسي ٢/ ١٠ وأحمد ٤/ ١٢١ وأبو داود ١٣٩٧ والترمذي ٢٨٨١ والنسائي في «اليوم والليلة» ٧١٩ وابن ماجة ١٣٦٩ والدارمي ١/ ٣٤٩ وابن حبان ٧٨١ والبغوي ١١٩٩ من حديث أبي مسعود البدري.

صحيح. أخرجه مسلم ١٢٥ وأحمد ٢/ ٤١٢ والطبري ٦٤٥٣ وأبو عوانة ١/ ٧٦ و ٧٧ وابن حبان ١٣٩ والواحدي في «أسباب النزول» ١٨٧ من طرق عن أبي هريرة. ة: ١٤٠٥ هـ.

باب ما يكره من التّشديد في العباة

وفيه: عن أَنَسٍ، دَخَلَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم)، فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ سَّارِيَتَيْنِ فَقَالَ: مَا هَذَا الْحَبْلُ؟ قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ، فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ به، فَقَالَ: (صلى الله عليه وسلم): لا حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ.

وفيه: عن عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَتْ عندي امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قُلْتُ: فُلانَةُ، لا تَنَامُ بِاللَّيْلِ، تَذْكُرُ مِنْ صَلاتِهَا، فَقَالَ: (مَهْ، عَلَيْكُمْ مَا تُطِيقُونَ مِنَ الأعْمَالِ، فَإِنَّ اللَّهَ لا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا. إنما يكره التشديد في العبادة خشية الفتور وخوف الملل، ألا ترى قوله: (خير العمل ما دام عليه صاحبه وإن قل) وقد قال تعالى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها﴾[1].

"وقال ابن القاسم: لأنّ الله تعالى قال: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها﴾ فهو قد كلَّف نفسًا ما لا تطيق، بل ينبغي أنّ يعينها جُهْدَهُ، ويرى نِعَمَ اللهِ عليه إذ جعلَهُ مخدومًا ولم يجعله تحت يد غيره خادمًا"[2].



---

[1] شرح صحيح البخاري لابن بطال ٣/١٤٤.

المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)

تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم

دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض

الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

[2] المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك

المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)

قرأه وعلّق عليه: محمد بن الحسين السُّليماني وعائشة بنت الحسين السُّليماني

قدَّم له: يوسف القَرَضَاوي.

الناشر: دَار الغَرب الإسلامي.

سبق التنزيه

سبق تنزيه، كقوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ﴾ فبدأ بالرسول قبل المؤمنين، ثم قال: ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ﴾ فبدأ بالإيمان بالله لأنه قد يحصل بدليل العقل، والعقل سابق في الوجود على الشرع ثم قال: ﴿وَمَلائِكَتِهِ﴾ مراعاة لإيمان الرسول؛ فإنه يتعلق بالملك الذي هو جبريل أولا، ثم بالكتاب الذي نزل به جبريل، ثم بمعرفة نفسه أنه رسول. وإنما عرف نبوة نفسه بعد معرفته بجبريل عليه السلام وإيمانه، فترتب الذكر المنزل عليه بحسب ذلك فظهرت الحكمة والإعجاز فقال: ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ لأن الملك هو النازل بالكتاب وإن كان الكتاب أقدم من الملك، ولكن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم للملك كانت قبل سماعه الكتاب، وأما إيماننا نحن بالعقل آمنا بالله [1].

وقد أثنى الله تعالى عليه بهذا العلم فقال: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥] فإيمانه بالله وبملائكته إيمان كسبي موعود عليه بالثواب الجزيل كما وعد على سائر أفعاله المكتسبة كانت من أفعال القلب أو أفعال الجوارح، وقد قيل في قوله: "لقد خشيت على نفسي" أي: خشيت ألا أنهض بأعباء النبوة وأن أضعف عنها، ثم أزال الله خشيته ورزقه التأييد والقوة والثبات والعصمة.

---

[1] **البرهان في علوم القرآن ٣/٢٤٥.**

المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)

المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم

الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م

الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

وقد قيل: إن خشيته كانت من قومه أن يقتلوه؛ فإنه بشر يخشى من القتل والإيذاء الشديد ما يخشاه البشر، ثم يهون عليه الصبر في ذات الله كل خشية، ويجلب إلى قلبه كل شجاعة وقوة. وقد قيل في معنى الخشية أقوال غير هذه[1] اكتفيت بهذا (٢).



[1] في "فتح الباري": اختلف العلماء في المراد بها على اثني عشر قولا:

أولها: الجنون, وأن يكون ما رآه من جنس الكهانة, وقد أبطله أبو بكر بن العربي, وحق له أن يبطل.

ثانيها: الهاجس, وهنو باطل أيضا, لأن لا يستقر, وهذا استقر.

ثالثها: الموت من شدة الرعب.

رابعها: المرض، وقد جزم به ابن أبي جمرة.

خامسها: دوام المرض.

سادسها: العجز ع حمل أعباء النبوة.

سابعها: العجز عن النظر إلى الملك من الرعب.

ثامنها: عدم الصبر على أذى قومه.

تاسعها: الخوف من أن يقتلوه.

عاشرها: مفارقة الوطن.

حادي عشرها: تكذيبهم إياه.

ثاني عشرها: تعييرهم إياه.

وأولى هذه الأقوال وأسماها من الارتياب: الثالث واللذان بعده, وما عداها معترض، والله أعلم.

[2] الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ٢/٢٧٠.

المؤلف: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ)

المحقق: عمر عبد السلام السلامي.

سبب النزول

قوله: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى آخر السورة، سبب نزولها: ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ الآية، قال: اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم بركوا على الركب، فقالوا: أي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية، ولا نطيقها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا، بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير"(١).



[١] تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ٤/١٤٥.
المؤلف: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي
إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي.

الخاتمة

الحمد لله الكريم الوهاب، هازم الأحزاب، ومفتح الأبواب، ومنشئ السحاب، ومرسي الهضاب، ومنزل الكتاب، في حوادث مختلفة الأسباب. أنزله مفرقا نجوما وأودعه أحكاما وعلوما، بحمد الله وتيسيره ختمنا الجمع المبارك لآيتين من الذكر الحكيم ...

ومما ورد في البحث

آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ شهادة وتنصيص من الله تعالى على صحة إيمانه والاعتداد به، وإنه جازم في أمره غير شاك فيه.

سبق التنزيه

سبق تنزيه، كقوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ﴾ فبدأ بالرسول قبل المؤمنين، ثم قال: ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ﴾ فبدأ بالإيمان بالله؛ لأنه قد يحصل بدليل العقل، والعقل سابق في الوجود على الشرع ثم قال: ﴿وَمَلَائِكَتِهِ﴾ مراعاة لإيمان الرسول فإنه يتعلق بالملك الذي هو جبريل أولا، ثم بالكتاب الذي نزل به جبريل، ثم بمعرفة نفسه أنه رسول.

مما ورد في الحديث

روى البخاري ومُسلم في «صحيحيهما» من حديث أبي مسعود البدري عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: «الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه»، قال أبو بكر النقاش: معناه: كفتاه عن قيام الليل. وقيل: إنهما نزلتا على سبب.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.